

الخميس

١٩- ربيع الأول - ١٤٢٩ هـ

٢٧- مارس - ٢٠٠٨ م

الندوة العلمية الثانية بعنوان "البحث العلمي"

لمعالي الدكتور/ عبدالرحمن بن عبدالعزيز آل الشيخ

البحث العلمي هو أساس التقدم .. وبمعنى أدق لا يمكن لأمة أن تنال نصيباً من التقدم دون أن يكون البحث العلمي هو الركيزة الأساس وبمعنى أكثر دقة لا بد أن يكون البحث العلمي جزءاً لا ينفصل من برنامج بناء الدولة. فإن هي أصرت على أن تهمل البحث العلمي أصبحت عاجزة عن السير وفاتها الركب وحكمت على أمتها بالتخلف لتعيش تلك الأمة في عزلة كاملة عن الأمم المتقدمة .

هذه هي سمة عصرنا الحاضر فمن أراد التقدم جعل البحث العلمي مركبته ولا توجد أي مركبة أخرى تنقله من التخلف الممقوت إلى التقدم المرموق سوى مركبة البحث العلمي .

ديننا جعل التعلم والعلم والبحث من أهم دعائم المسلم الحق إن هو أراد أن يحيى ويسمو ليصل إلى الذروة في دينه ودنياه، ديننا يمقت الجهل ويدعونا إلى العلم ولا داعي للاسترسال في هذا المجال فالقرآن الكريم والسنة المطهرة فيهما آيات ونصوص تدعو للعلم وتدفعنا إليه وتمقت الجهل وتنأى بنا عنه يقول الله جلّ شأنه ((يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير)) .

المعلومات الدقيقة هي النتاج الطبيعي للبحث العلمي، ودقة المعلومات هي الأساس لأي مشروع تطويري ناجح وبعبارة أوضح أي مشروع تطويري لا يقام على أساس سليم من المعلومات الدقيقة ليس له نصيب من النجاح ولهذا فإنه ينهار ويتلاشى حتى قبل أن يكتمل بناؤه.

والشعوب التي قطعت شوطاً كبيراً في ميدان التقدم الحضاري بفعل البحث العلمي تحرص كثيراً أن يظل هذا التقدم في نطاق حدودها لا تفرط فيه وتنفرد بأسراره أطول فترة ممكنة إلى أن يصلوا إلى نتائج جديدة بفعل بحث علمي جديد يليه بحث علمي جديد آخر ليخرج نتائج جديدة أخرى وهكذا يسرون ف تقدمهم الحضاري مدفوعين إلى الأمام بسرعة لا تُبارى وقودها على الدوام البحث العلمي. أما الشعوب المتخلفة فقد استكانت وغطت في سبات عميق والقوم من فوقهم محلّ قون.

ومن المفارقات العجيبة والمؤلمة أن معظم تلك الأمم المتخلفة تملك من الثروات الكم الهائل دون أن تستثمر في مجالات التقدم الحقيقي المرتكز على البحث العلمي. بل تذهب تلك الثروات هباءً منثوراً أو عرضة للضياع والإنفاق الذي لا يعود للأمة بفائدة تذكر.

ومنطقنا العربية رغم ثرواتها البشرية والطبيعية ظلت ولا تزال أسيرة هذا التخلف لأن الإدراك الحقيقي لأهمية البحث العلمي لم يتحقق بعد إلا في أضيق نطاق لا يضمن ولا يغني من جوع. وأخشى ما أخشاه أن تظل هكذا داخل دائرة التخلف طالما بقي الإدراك قاصراً دون أهمية البحث العلمي الذي يعتبر المفتاح الحقيقي لتقدم الأمم والشعوب.

ومنطقتنا العربية تزخر بالطاقات المادية والبشرية القادرة على النهوض بهذه الأمة إلى أعلى الدرجات عن طريق البحث العلمي. هذه الطاقات المتميزة تحتاج إلى التكريس والصقل والتأهيل وتحتاج مناخاً علمياً خالياً من الإعاقات. والمناخ العلمي السليم لا بدّ أن يبدأ بالمنهج الدراسي العلمي السليم في مدار سنا ومعاهدنا وجامعاتنا والمناخ العلمي السليم لا بدّ أن يركز على البيئة العلمية السليمة المتمثلة في مراكز الأبحاث الحقيقية وليست الصورية فهناك مسميات رنانة في عالمنا العربي هي في واقع الأمر أبعد ما تكون عن أداء مراكز البحث العلمي الحقيقي.

قدرات الإنسان تنمو وتتطور بالعلم المؤسس على برامج ومناهج سليمة ابتداءً من السنوات الأولى للدراسة وصولاً إلى المعاهد والجامعات المتقدمة وعندئذ تتمايز القدرات ليتم رصد المتميز منها والمتفوق ليذهب إلى المرحلة العالية من العلم والتدريب التي تؤهله لولوج بوابات مراكز ومعاهد البحث العلمي التي يجب أن تتمتع بالقسط الأوفر من الحرية في نشاطها العلمي والدعم المادي والمعنوي والتي تطلق العنان للباحثين لتحقيق إبداعات مميّزة وابتكارات وأعدة واختراعات جديدة مفيدة وحلول حاسمة لأي عوائق ومشكلات قد تعترض مسيرة التقدم.

والاستقرار النفسي للباحثين في مراكزهم العلمية أمر لا بدّ منه فالباحث يجب أن يكون متفرّغاً لبحثه. فمختبره من الضروري أن يكون مزوّداً بكل ما يحتاجه من أجهزة متقدمة ومعدات حديثة مع

وجود مكاتب واسعة النطاق في كتبها ومراجعها ودورياتها ومجلاتها العلمية لا يحده في اختيار مراجعه أي حدود أو قيود فله مطلق الحرية في الاختيار والاطلاع والدراسة. كما أن الباحث يحتاج إلى فريق عمل من المساعدين الباحثين .

ومن دواعي الاستقرار النفسي للباحث أن يكون مطمئناً في سكنه ونفقته وفكره ووقته.

والعرب العلماء تمتلئ بهم الجامعات المتقدمة ومراكز البحوث المتميزة خارج حدود الوطن العربي، والغرب والشرق يتنافسون على استقطابهم بعد أن هَيَّأوا المناخ العلمي والعيش الكريم والحرية التامة فأبدعوا في أبحاثهم. لماذا ذهبوا وتركونا؟ الجواب واضح. لأنهم وجدوا عندهم ما لم يجدوه عندنا. لماذا لا نستطيع أن نستقطب أولئك العلماء؟ الجواب واضح. لأن ليس لدينا ما يغريهم للعودة إلى أوطانهم فيبدعوا - نعم ليس عندنا ما وجدوه في البلدان التي غرّبوا وشرّقوا لها !!

نحن لا نريد أن ننفك عن تاريخنا المجيد لحظة واحدة ولكن لا يجوز لنا أن نقف عنده بل علينا أن نستعمله وقوداً للحاضر والمستقبل لكي نحلق مع المحلقين فنربط ماضينا العظيم بحاضر له شأن عظيم وبمستقبل له في الغالب شأن أعظم. لا بد أن تكون لنا معرفة نحقق بها مكانة تجعلنا نتقل من آخر الركب إلى أوله ونفيق من سباتنا إلى اليقظة والوعي.

قلت في بداية حديثي أن الأمة التي أصابت حظاً وافراً من التقدم بسبب البحث العلمي تحرص على المحافظة عليه وأن يظل داخل حدودها لا تفرط فيه وتنفرد بأسراره أما نتائجه فتزجّ بها زجّاً في أسواق الدول المتخلفة التي لا تعرف في معظم الأحيان كيف تستعملها ناهيك عن معرفة كُنْه صناعتها وهكذا تسترخي الدول المتخلفة الثرية والفقيرة منها على حدّ سواء ليصبح تطوير الذات عن طريق البحث العلمي لا استعجال عليه أي أنهم ليسوا في عجلة من أمرهم للحاق بركب التقدم فهم مخدومون بمالهم !!

وهنا ينطبق قول الشاعر العربي الحكيم:

دع المكارم لا ترحل لبُعْثِهَا

واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

هذه هي النتيجة الحتمية لعدم الاستثمار في البحث العلمي .

أملّي أن تنهض الجامعات في بلادنا بهذا الجانب الأهم من رسالتها ودورها

(البحث العلمي) فتكرس الموارد المالية والبشرية الكافيتين للنهوض بالبحث العلمي

لتخطو بعزيمة وثقة من مؤخرة القائمة إلى الصدارة لتقود بلادنا إلى الرقي والتقدم .

وأملّي أن تنشأ وتقوم مراكز البحث العلمي لتترعرع على أرضنا لتصبح الركيزة التي

يعوّل عليها مع الجامعات لتقود بلادنا إلى الرقي والتقدم.